**<<نصوص من الكاتبات التاريخية الحديثة و بدايات ظهور النقد التاريخي>>**

**1-تهميد:**

المعروف أنَّ حياة الإنسان على هذه الأرْض تنقسِم إلى قسمين: يسمَّى القسم الأوَّل: (عصور ما قبل التاريخ)، ويسمَّى القسم الثاني: (العصور التَّاريخيَّة)، والحدُّ الفاصل بينَهُما هو اكتِشاف الإنسان للكتابة حوالي 3500 ق م، وتدوين الإنسان أوجُه نشاطه، ممَّا سهَّل الرُّجوع إليْها، والاستِفادة والاعتِبار بأخبارها.

**2-تعريف التاريخ: هناك عدة تعريفات للتاريخ نختصر منها:**

**-التعريف اللغوي:** التاريخ يعني الزمن أو الوقت، وهو من فعل أرخ –يؤرخ، فمثلا نقول أرخ للشيء أي وضع له زمناً.

**أما اصطلاحاً:** فالتاريخ مرآة الأمم، يعكس ماضيها ويترجم حاضرها. و يعني السرد المنظم لمجموعة من الأحداث التي قام بها الإنسان ضمن إطار زماني وإطار مكان محدد.

وبما أن التاريخ هو المصدر الأساسي للعلوم الإنسانية، فهو يعني السفر الخالد الذي يحوي بين دفتيه كل التطورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي مرّت بها البشرية منذ أن قدّر الله تعالى للإنسان أن يبدأ حياته على سطح الأرض، ومن ثمّ يكون الإنسان الكائن الصانع للتاريخ.

**3- الإنسان والكتابة التاريخية :**

التاريخ مرتبط بالوجود البشري كسيرورة فردية أو جماعية ممتدة في الزمن أو عبر الزمن، ولا ريب في أن الإنسان قد بدأ يكتب تاريخه منذ أن بدأ ينقش على الحجر، ثم بعد أن كتب على الورق، إيماناً منه بأن تسجيل تاريخه قد كان لِأمر مهم، لذلك يعتمد المؤرخ في إعداد بحثه على الكتابة التاريخية كمصدر مهم جداً في إنجاز عمله.

**والكتابة التاريخية:** هي تلك النصوص الموجودة في المصادر المادية( الأثرية) والأدبية وفي المراجع العامة والخاصة، وفي هذا الصدد يقوم المؤرخ بكتابتها أو قراءتها لِإنجاز عمل بحثي معين، وبهذا الشكل تكون الكتابة التاريخية من حيث هي نصوص مكتوبة، يمكن اقتباسها سواء في أصولها ( المصادر أو المراجع).

**ونقصد بالمصادر والمراجع:**

**أ-المصادر:**

هي مواد مقدَّمة من أٌناس أو جماعات منخرطين مباشرة في الحدث أو الموضوع- محل الدراسة-، إما مشاركين وإما شهوداً، وتوفر هذه المصادر الدليل الذي يعتمد عليه المؤرخون لِيٌصنفوا الماضي ويٌفسروٌه، فبعض تلك المصادر وثائق مكتوبة مثل الرسائل واليوميات، ومقالات الصٌحف والمجلات، والخطب والمذكرات والاتفاقيات الدولية والإحصاءات الرسمية، وشهادة الميلاد والوفاة. إضافة إلى ذلك يتفحَّص المؤرخون غالباً المصادر غير المكتوبة مثل الأعمال الفنية والأدوات الأثرية والمعدات القديمة والآثار المبنية.

ويمكن أن يٌعد من المصادر لدراسة التاريخ المعاصر: الروايات الشفهية مثل المقابلات مع المحاربين القدامى الفيتناميين، أو الناجين من الكوارث وغيرها من روايات شهود العِيان، فَبتفحصهم المصادر يكتسب المؤرخون نظرة مٌعمَّقة لِأفكار الناس وتصرفاتهم وخبراتهم في الماضي.

كما أنه في غالب الأحيان يمكنك أن تتعامل مباشرة مع المصادر مثل الرسائل والمخطوطات في الأرشيفات، ولكن غالباً ما تٌستخدم نسخة مطبوعة أو الكترونية من المصادر، مثل أن تكون مجموعات أو رسائل محرَّرة أو مترجمة أو صور أو خرائط أو لرسوم فنية أو لصفحات مخطوط.

**ب-المراجع:**

بِصفتك طالب تاريخ، فسوف تستخدم أيضا المراجع وهي بخلاف المصادر، ودائماً ما تكون نصوص مكتوبة مثل الكتب التي كتبها أو صنعها أٌناس لم يكونوا شهود عِيان على الحادثة التاريخية أو العصر الذي هو محل البحث، ولكن مؤلفي المراجع يجمعون ويحللون ويفسرون المصادر، ويمكن للمراجع أن يكتبها المؤرخون المتخصصون، لكن أيضا يٌمكن للكتاب المشهورين والصحفيين كتابة كتب ومقالات عن مواضيع تاريخية، وعليك غالباً ان ترجع إلى الأعمال الأكاديمية عند كتابتك لبحث أكاديمي وليس للأعمال التي لها شعبية غير أكاديمية.

والمراجع تكون مفيدة جدا، فقراءتها غالباً ما تكون أسهل طريقة وأسرعها لِتٌصبح مٌطلعاً على المعروف إلى الآن عن موضوع دراستك إضافة إلى أن تفحٌّص الكتب البحثية والمقالات العلمية سيخبرك عن الطرق التي فهم بها المؤرخون الاخرون الاحداث وفسّروها، وقراءة عدد من المراجع هي أيضا الطريقة المثلى لمعرفة القضايا والتفسيرات ومحل الاختلاف والنقاش بين المؤرخين المتخصصين، وهي مناقشات تدعوا دارس التاريخ غلى المشاركة فيها، إضافة إلى ذلك فقوائم المصادر والمراجع فيها قد توجهك إلى مصادر ومراجع يمكن أن تفيدك.

وفي شأن قيمة المراجع فلا يمكن استخدامها لوحدها في بحثك، فينبغي عليك أن تعتمد على المصادر كلما كان ذلك ممكناً، وبالتالي تدرس أحداث الماضي بكلام الناس الذين عاشوا عصرهم وشهدوا عليها أو شاركوا فيها.

3-**حالات المصدر وتبدلها أي (مصدر أم مرجع):**

ليس من السهل دائما الحكم على نص مٌعيَّن بأنه مصدر أو مرجع ، وذلك ناتج عن أن الحكم بأنه مصدر أو مرجع غير عائد إلى قدم النص، بل للسؤال التاريخي الذي تطرحه أنت ، فعلى سبيل المثال إذا كنت تكتب عن عهد يوليوس قيصر(44-100 ق.م) فإن كتاب سوتونيوس(Suetonius) حياة القياصرة الإثني عشر (Lives of the twelve saesars)، المٌؤلًّف في بداية القرن الثاني قبل الميلاد، سيكون مرجعا لِأنّ سوتونيوس لم يكن شاهداً على الأحداث التي وصفها، ولكن إن كنت تكتب عن المناظرات التي جرت بين الرومان في القرن الثاني الميلاد عن سوء استخدام سلطة الإمبراطور، فإن كتاب سوتونيوس يُصبح مصدراً في هاته الحالة.

مثلا إذا كنت ابو القاسم سعد الله يتحدث عن جمعية العلماء المسلمين فهو مصدر لكن إذا كان يتحدث عن الدولة العثمانية يكون مرجعا. والأمثلة كثيرة.

**ثانيا: الكتابة التاريخية عبر العصور:**

**1- الكتابة التاريخية في الشرق الأدنى القديم:**

كانت الكتابة التاريخية في الشرق قليلة نسبياً باستثناء أعمال العبرانيين، كذالك لم تتصف تلك الكتابة بالتنظيم المحكم والدقيق، ذلك ان المادة التاريخية في الشرق القديم اقتصرت على النقوش وقوائم الملوك، وكانت هذه النقوش مركزة على تمجيد الملوك ، وإبراز ما شيدوه من مبان، وما أحرزوه من انتصارات حربية، وما يلاحظ عن هذه الكتابة التاريخية أنها تخلوا من أي نقد، فلم تتضمن هذه الكتابات معلومات تشين الملوك أو الآلهة الذين اهتدوا بدينهم.

ومن النماذج الشرقية الأثرية نجد بلاد الرافدين، حيث أخذت الكتابة التاريخية في بابل صورة الرسوم المنقوشة على المباني والقصور الملكية، كما ظهرت عند الأشوريين وثائق وحوليات أثرية ملكية في تسلسل حول مغامرات الحكام في الحروب والصيد والقيام ببناء المعابد والقصور الملكية، إذ لم يظهر أثر للحاسة التاريخية الناقدة في هذا التسجيل البدائي للتاريخ، وكان الهدف من هذه النقوش تمجيد الحاكم والإعلاء من شأنه في نظر الأجيال اللاحقة، وبالتالي يغلب على تلك الوثائق الأثرية طابع المبالغة والتهويل والروح الدينية.

ولعّل أقدم الوثائق التاريخية في العراق القديم، إنما تلك التي كتبها الكتاب السومريون، فمثلاً قائمة الملوك السومرية- والتي تتحدث عن حدوث الطوفان، إنما كتبت بالخط المسماري في بدايات التاريخ الرافدي، وأخرى في فترات لا تتأخر كثيراً عن منتلصف عهد سلالة أور الثالثة(2113-2004 ق.م) ، ونصوص سابقة لهذا العهد ( العهد الأكادي) حيث نجد نصوص لسرجون الأكادي تشيد بولادته ونشأته وتوحيده للعراق القديم.

2- **الكتابة التاريخية عند اليهود:**

يقول ''بارنز'' ان شرف إخراج أوّل سرد تاريخي يحظى بنسبة عالية من الدقة إنما يٌعزى إلى يهود فلسطين، ويٌلعِّلِل ذلك بأن الرخاء العظيم الذي استمتع به اليهود، فضلاً عن المكانة التي ظفروا بها على أيام طالوت( شاؤل1020-1000 ق .م)، وداود عليه السلام(1000-960ق.م) وسليمان عليه السلام(960-922 ق.م) على ايام المملكة المتحدة من البواعث الحافزة على كتابة التاريخ، فكانت أقدم محاولاتهم للكتابة التاريخية، إنما هي المحاولة التي قام بها كتاب مجهولين بكتابة أصول الأسفار الخمسة من التوراة ( التكوين- الخروج- العدد- التثنية- واللاوين)، فضلاً عن أسفار يشوع وصموئيل الاوّل والثاني والملوك الأوّل والثاني.

وطبقاً لِرواية جيمس هنري بريستد(1865-1935م) فإن هذه الاسفار إنما هي اقدم ما نملك من الكتابات التاريخية عن أي قوم من الأقوام، ومؤلفها المجهول هو أقدم مؤرخ وٌجِدا في العالم القديم.

ومن البديهي ان هذه الكتابات إنما هي جزء من توراة اليهود، والتوراة على أية حال كلمة عبرية تعني الهداية والإرشاد، ويقصد بها الأسفار الخمسة الأولى والتي تٌنسب إلى سيدنا موسى عليه السلام، وهي جزء من العهد القديم، والتي يٌطلق عليها تجاوزً التوراة من باب غطلاق الجزء على الكل، والتوراة أي- العهد القديم- يتميز عن العهد الجديد، الذي هو كتاب المسيحين المقدس.

وهنا يجب ان نعلم أن اليهود هي الأمة الوحيدة التي كتبت تاريخها وماضيها بيدها.

هنا من الواحب أن اشرح للطلبة موضوع السبي البابلي ودور يهود بابل في كتابة التوراة.

3- **الكتابة التاريخية في أوربا القديمة: ( عند اليونان والرومان) تنقص كتابة تاريخية لروما:**

**أ-اليونان:**

تعد الأساطير الأصول الأولى لكتابة التاريخ، فنجد في الكتب التاريخية الإغريقية امتزاج عالم الحقيقة بعالم الخيال امتزاجاً قويا في كثير من الأخبار، فالشخصيات الحقيقية أَضْفَت عليها الخرافات هالة أسطورية أو ملحمية كبيرة كما هو الأمر بالنسبة لأشهر الملاحم البطولية في التاريخ، فالإلياذة والأوديسة المنسوبة لهوميروس تعد من أهم مصادر المعلومات عن تاريخ اليونان خصوصاً ملحمة حرب طروادة، وهي تخلط بين الأحداث الواقعية والخيالية، وتمجد الأبطال عبر إبراز قواهم الخارقة وتصوير انجازاتهم التي لا يمكن تصديقها إلا في عالم الأساطير.

فكان هؤلاء الأبطال هو الفاعلون الحقيقيون في التاريخ، أوصلتهم كتابات ذلك العصر إلى مراتب الآلهة أو تضعهم في مراتب انصاف الألهة.

وكان الشعب اليوناني يؤمن بهذه الأساطير باعتبارها أحداث تاريخية حقيقية وقعت بالفعل، وبالتالي يختلط الخيال بالواقع داخل الكتابة التاريخية الأسطورية، حيث أن كل امة من الأمم القديمة بدأت مسيرتها الإنسانية بمرحلة الأسطورة في تعبيرها الأدبي و التاريخي، لأنها تعكس حاجيات ورغبات المجتمع، فالبطل يعكس من خلال الصفات المنسوبة إليه أحلام المجموعة البشرية في مواجهة القوى المعادية، وبالتالي يصبح التاريخ هنا بمثال القصة المروية..

نجد المؤرخين الذين نسبوا إلى بعض الملوك القدرة على الشفاء من الأمراض والقدرة على إيقاف الاوبئة، والتحكم في الرياح ، ''بلوتارك'' صاحب كتاب'' السير المتوازنة-Les vie paralléle''، وهيردوت صاحب كتاب التاريخ، حيث أوردوا في هذا الصدد العديد من الرؤى والخوارق والكرامات. وبهذا الشكل سادت نظرية الرجل العظيم في الكتابات التاريخية واستمرت بصماتها في الكتابات اللاحقة، بل اكاد مؤرخو العصور القديمة أن عادة تأبين عظماء الرجال بعد موتهم تخليداً لِذكراهم وتأْليهاً لهم وصوناً لهم من الفناء انتشرت في روما وفي مصر القديمة، ومما يؤاخذ على كتاب السيرة والتراجم في القرون الوسطى عموماً ان نمط الكتابة ظل على حاله وبالمكونات نفسها، وكان الهدف منها إبراز شخصية القديس من خلال التركيز على مناقبه وقدراته الخارقة على الإتيان بالأعمال العجيبة، وعلى صٌنع الأحداث والتأثير في مسارها، فشخصية القديس اكتسبت في الذهنية الجماعية آنذاك خاصيات تفريدية.

ب-**الرومان:**

لم تسهم روما سوى بالقليل في تقدم الكتابة التاريخية، واذا كان هناك مؤرخين رومان مشهورين فإن احدهم منهم لا يرقى الى مستوى الاغريقين، ويتضح اعتماد الرومان المباشر على الاغريق في كتباتهم التاريخية، أنهم دأبوا حتى القرن الثاني ق.م في تدوين تاريخهم باللغة الإغريقية، ومعظم هذه الأعمال- الكتابات- كانت عبارة عن حوليات أوّلها التي كتبها ''فابيوس بيكتور (254 ق.م)، وحوليات الشاعر ''انيوس''( توفي169 ق.م) الذي اقتبس عن الأدب الإغريقي لِأول مرة الأسطورة القائلة بالأصل الطروادي لروما.

فمن المؤرخين العمالقة يوليوس قيصر(100-44 ق.م) الذي اتصف اسلوبه بالصرامة والقوة و كتاباه هما (تعليقات على الحروب الغالية) و( الحرب الأهلية)، أما المؤرخ الروماني الأكثر منهجية فهو سالوستsallust (86-34 ق.م)، الذي كان له القدرة على تحليل الشخصيات الفاعلة حيث نلمس ذلك في كتابه مؤامرة كاتلين وعن الحرروب بين روما ونوميديا في كتاب حرب يوغرطة.

ونقتصر هنا في الاخير على مؤلفات 'تاكيتوس'' اولها (الحوليات) التى تناولت فترة موت اغسطس69 ق.م وكتابه ((التورايخ)) الذي تناول الاباطرة الفلافيين، إذ يتعبر تاكيتوس بوصفه مؤرخا قد اتبع منهج علميا وسطا نلاحظه في تعصبه ضد الامبراطورية الرومانية. وبهذا الشكل يلاحظ أن المؤرخون الرومان كثيرون، لكنهم كانوا دائما تحت تأثير المدرسة الاغريقية، إلا أن كتابتهم كانت أكثر صدقاً وأقرب على علم التايخ- الحقيقة التاريخية- على خلاف الاغريق واسلوبهم الأسطوري.

4- **الكتابة التاريخية في العصور الوسطى:**

**أ-الكتابة المسيحية:.**

احتلت السير التاريخية دوراً كبيرا في الكتابات التاريخية على عهد اباء الكنيسة المسيحية، وكانت اوّل خطوة في هذا المجال هي الأجزاء الأولى من كتاب '' التاريخ الكنيسي'' لمؤلفه ''أزبيوس القيصر''(263-310م) سرد فيه حياة رجال الكنيسة المرموقين وأعمالهم، غير ان أوّل تجميع رسمي للسير المسيحية الشهيرة كانت في كتاب '' مشاهير الرجال'' الذي كتبه القديس'' جيروم-saint jérome ''(342-420م) في بيت لحم سنة392م، ضمّت محتويات الكتاب أزيد من 130 فصلاً، في كل فصل عرضٌ لسيرة وأعمال كاتب أو راهب مسيحي، ومضى على منوال جيروم كٌتاب مسيحيون مشهورين أمثال ''جيناديوس'' الذي ألَّفَ سنة480م كتل بنفس الاسم السابق أي مشاهير الرجال، ويعتبر مٌؤلفه تكملة لعمل جيروم لكنه اقل أهمية منه.

ظلّت السيرة ذات بٌعد تربوي وأخلاقي خاضعة بِشكل مطلق لرجال الدين وهيمنة الكنيسة، وانتعشت خلال تلك الحقبة بالخصوص حياة القديسين من تمجيد ومديح وتخليد، فكان عصراً لكتابة مناقب الرهبان والزهاد بامتياز. وقد تم تسخير هذه المقاصد من السير تبعاً للقيم الأخلاقية التي يراد إيصالها للمجتمع.........

ارجع إلى كتاب ص69 خالد طحطح – الكتبة التاريخية.

**ب-النقد التاريخي عند العرب:**

بيّن القران الكريم في آيات كثيرة ضرورة إعمال العقل فيما يرى الإنسان ويسمع، وأكد على مفهوم البيِّنة والحجة والبرهان و وٌجوب التَّثبيت من الخبر،ودقّق في أمور الشهادة والشهود، فكل هذه الأمور توجه إلى النقد العقلاني للأمور، وتبين الصدق من الكذب والحقيقي من المزيف ومنها قوله تعالى(( يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)).

ونبه الرسول عليه الصلاة والسلام في أحاديثه تبيين الصدق من الكذب وبتعبير أدّق النقد لما يٌرى ويٌسمع بقوله(( من حدّث عني بحديث يٌرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)) و(( من تعمّد علي كذباً فليتبوأ مقعده من النّار)).

ولهذا السبب أوجد علماء الحديث أصولا نقدية للتمييز بين الصحيح والموضوع من الأحاديث، ولِتصنيفها بحسب قربها من الحقيقة، واتبع العرب المؤرخون تلك الأصول للتحقق من صحة الخبر أيضاً فكان الأسلوب النقدي الذي ساروا عليه واقتدوا فيه بعلماء الحديث هو ( الجرح والتعديل)، أي يتابعون الرواة الذين أسندت اليهم الأخبار من حيث تاريخ ملادهم ووفاتهم وسيرتهم الحياتية وصفاتهم العقلية واخلاقهم وسلوكهم ومو مدى تحيزهم لمذهب و ميولاتهم الفكرية والسياسية....الخ، وكانو يخرجون من عملية النقد تلك بتجريح بعض الرواة وعيوبهم الشخصية…..

إن النهج النقدي السالف الذكر- الجرح والتعديل- هو ما يكون في المنهجية العلمية للبحث التاريخي المعاصرة الجزء الأكبر في عملية '' نقد المؤلف''، فلم يقتصر المؤرخون العرب والمسلمون على الطريقة السابقة فقط، بل اعملوا محاكمتهم للتمييز بين صحة المعلومات و زيفها واتخذوا الموازنة الزمنية بين خبرين.

5- **الكتابة التاريخية عند المؤرخين المعاصرين:**

سميت هذه المرحلة بمرحلة التاريخ الجديد، حيث ظهرت جديدة للتاريخ، الذي توسع مفهومه وأصبح أكثر شمولية،بعدما كان محدود النظرة والمنهج فيما سبق، كما ظهرت مدارس واتجاهات تاريخية متعددة لعلّ أهمها المدرسة الوثائقية التي دعت إلى ضرورة إعتماد الوثيقة في كتابة التاريخ، فالتاريخ يٌصنع بالوثيقة، ومع مطلع القرن العشرين أصبحت المدرسة الوثائقية عرضة لانتقادات شديدة من قِبل جِيل جديد نادى بِتوسيع الدراسات التاريخية لِتنفتح على العلوم الأخرى وتحوّل التاريخ إلى دراسة كل ماله علاقة بالإنسان.